الباب الخامس

إسرائيل و أفريقيا

الوضع الراهن للوطن العربي:

ان سبب التهديد الخطير الذي تعرض له الأمن القومي العربي، في العقد الأخير من القرن العشرين،هو ظهور حالة تمزق خطيرة، طالت حتّى الثوابت الأساسية،ومزقت الإجماع العربي، وضربت النظام العربي في أسسه، بحيث منعته حتّى من بحث قضايا مصيرية تتعلق بمستقبل الأمة العربية، مما أفضى للعدوان واسع النطاق على العراق، ابتداء من القرار٦٦١،في١٩٩٠ مروراً بالعدوان العسكري الثلاثيني، ليلة ١٩٩١ وصولاً إلى غزو العراق واحتلاله في مارس٢٠٠٣ ويتصف الوضع العربي الراهن بما يلي:

- دول رأت أن أمنها في المرحلة الراهنة يتطابق مع الضمان الأمني الدولي لذلك رهنت أمنها لإرادة القوى الكبرى وفي مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية، بحكم دخولها فى معاهدات حماية، أطلقت عليها معاهدات التعاون الأمني، ويظهر ذلك واضحاً في الخليج العربي خشية التهديد الإقليمي الذي تستشعره.
- دول تمتلك قيمة جيوستراتيجية عالية وتعوزها الإمكانات للدفاع عنها.
- دول جوار إقليمي ذات أطماع واضحة في الوطن العربي، تمثلها تركيا وإيران واريتريا والحبشة.
- رادع نووي إقليمي ، ذو تأثير مزدوج، يعمل تبادلياً بين الدولتين

النوويتين الهند وباكستان وبشكل تتجه تداعياته نحو الخليج العربي والبحر الأحمر أو ضمن قوس تأثيره.

-دولة محتلة كانت حتّى ٢٠٠٣ ذات قدرات رائده، لكن تمّ تدمير قدراتها بفعل الاحتلال أيضا واستشراء نظام العقوبات الذي طال دولاً عربية أخرى كليبيا والسودان وفلسطين.

- قناعات قطرية انعزالية قصيرة النظر، متراجعة عن الإيمان بوحدة الأمن العربي، خصوصاً بين دوائر وفئات تمّ اختراقها فكريا أو بين نظرة أنانية،رضيت بحياة الدعة والغنى والخمول، متناسية المآسي التي قد يقود إليها هذا الحال.

- جماهير مسلوبة القدرة على الفعل، ولو أنّها عبرت عن قناعاتها في لحظات لا تنسى.

- تفكيك قضية فلسطين، ونقلها من المستوى العربي الشامل إلى المستوى الثنائي، حيث أضحي التعامل معها يشبع التعامل مع قضايا الحدود، وتلعب فيه إسرائيل دوراً مركزياً مؤيداً من قبل الولايات المتحدة ثمّ تفتيت الوحدة الفلسطينية داخلياً.

- وضع دولي أحادي القطب، قدم للمنطقة محتلاً، ممثلاً فى الولايات المتحدة الأمريكية، مسوقا لنظريات جديدة، تعادى العمل العربي المشترك وتربط مصير أطراف الأمة العربية، بجوارها الإقليمي، كالمتوسطية والشرق أوسطية، وموفراً المشروعية والحماية للأطماع الصهيونية.

خطر إسرائيل في أفريقيا علي أمن مصر

يبدو أن إسرائيل بدأت توسع دائرة تدخلها فى الشئون الأفريقية، فبعد الأمن والاستخبارات والسياحة، تدخل تل أبيب إلى القارة السمراء بقوة عبر المجال الزراعي وباتفاقية وقعتها مؤخراً مع برنامج الأمم المتحدة للتنمية الصناعية يونيدو، بهدف تطوير منظومة الأمن الغذائي وخدمة المياه وتحسين سبل التسويق والتصنيع الزراعيين في القارة الأفريقية والملفت في الاتفاقية أنها تشمل إدخال إسرائيل إلى الدول الفقيرة والأقل دخلاً ونمواً وهى دول حوض النيل تقنيات التكنولوجيا الحيوية وتقنيات الزراعة الحديثة ودعم الصناعات الصغيرة والمتوسطة والتنمية البيئية وزيادة دور المرأة الأفريقية في التنمية وكانت مصر التي طالما اعتبرت الرائدة في مجال الخبرات الزراعية في أفريقيا والسودان رفضتا التوقيع على اتفاقية إطارية بين دول حوض النيل، والمعروفة باسم عنتيبي بسبب خلافات حول بنود في الاتفاقية.

ولا يرى وزير الزراعة المصري الأسبق أيمن فريد أبو حديد أي تأثير للاتفاقية بين إسرائيل والمنظمة الدولية على الدور المصري في أفريقيا لأنه قديم ومستمر، مدللاً على ذلك بتوجه الحكومة المصرية لإنشاء مزارع جديدة في القارة الأفريقية وأوضح أن إسرائيل ليست الوحيدة التي تسعى لدور في القارة السمراء، فالصين وأغلب دول العالم تبحث

عن موطئ قدم اقتصادي لها في هذه القارة نظرا لتوفر التربة الخصبة والمياه واليد العاملة الرخيصة غير الخبيرة، أي أن كل شيء موجود عدا التكنولوجيا ويعتقد أبو حديد أن اختيار الأمم المتحدة لإسرائيل مرده أنها تحسب على المجموعة الأوروبية وفقا لتقسيم المنظمة الأممية، وأن جنوب السودان- حليفة إسرائيل الأولى في القارة السمراء- ليست سبب وجود إسرائيل في أفريقيا، لأن العلاقات قديمة بين الجانبين في مجالات متعددة، مشيراً إلى حسن علاقات مصر بجنوب السودان منذ تأسيس دولتها الوليدة وقلل من تأثير هذه الاتفاقية على مياه نهر النيل لأن هناك اتفاقية إطارية تحكم العلاقة بين دول حوض النيل، معتبراً هذه الاتفاقية محاولة إسرائيلية لتدعيم حضورها في أفريقيا خصوصاً أنها تنشر خبراءها وباحثيها في مؤسسات الأمم المتحدة التي تعنى بتطوير القارة الأفريقية ودعا وزير الزراعة السابق صلاح يوسف إلى تكثيف الجهود الدبلوماسية والسياسية للرد على هذه الاتفاقية التي قال إنها تهدف لتعميق الدور الإسرائيلي في القارة السمراء وتهميش الدور المصري، مؤكداً امتلاك القاهرة لكفاءات وخبرات زراعية تكفي الجغرافية الأفريقية واعتبر أن هذا التوغل الإسرائيلي لا يستهدف مصر بل الدور العربي في أفريقيا، وأن الاتفاقية رغم أنها تتعلق بالزراعة والمياه، إلا أن لها بعد سياسي، وطالب دول حوض النيل بالتقارب والتنسيق وتدعيم التعاون بينها، وحمّل يوسف النظام المخلوع مسؤولية

تراجع العلاقات بين مصر ومحيطها الأفريقي عبر توجيه الدبلوماسية المصرية نحو أوروبا وأمريكا ودول الغرب، مما أدى إلى تراجع الدور والتأثير المصري في أفريقيا ووصف مدير وحدة السودان ودراسات حوض النيل بمركز الأهرام للدراسات هاني رسلان الاتفاقية بأنها تعزيز للنفوذ والحضور الإستراتيجي لإسرائيل في أفريقيا عبر التواصل المباشر مع المواطن الأفريقي البسيط في قطاع الزراعة الذي يمس حياته اليومية، وأن إسرائيل كثفت حضورها الأمني والمخابراتي وحتى السياحي في قارة تعاني دولها من فقر مدقع وارتفاع معدل البطالة وسوء تغذية وهذا الوجود سيؤثر بشكل سلبي على السياسات والنفوذ المصري في أفريقيا، والاختراق الإسرائيلي لأفريقيا ناتج عن الغياب المصري والعربي بشكل عام عن القارة السمراء، مستدركا أنه بعد خروج مصر من هذه المرحلة الانتقالية وفي حال وجد القرار السياسي فإن القاهرة ستستعيد مكانتها في أفريقيا لأنها جزء عضوي منها، إضافة إلى حضورها التاريخي وتراثها السياسي في المنطقة ووجود عوامل مشتركة كثيرة بين الجانبين.

وهناك خطة اسرائيلية منظمة تجاه أفريقيا لاتقتصر علي المياه فقط لكنها ترتكز علي الاستفادة من جميع الثروات في تلك الأراضي البكر والقارة الافريقية احتلت مكانا متقدما في سلم أولويات الحركة الصهيونية منذ تأسيسها وكان من أسباب الاهتمام الاسرائيلي بالقارة

التأثير علي الأمن المائي العربي، حيث نهر النيل وأهميته الاستراتيجية لمصر والسودان ودول أخري، وتهديد الملاحة العربية في البحر الأحمر ومنع تحوله الي بحيرة عربية، وإضعاف التأييد الافريقي للقضايا العربية.

أفريقيا والنفوذ الاسرائيلي:

أفريقيا القارة التي كانت تعتبر إلى وقت قريب منطقة نفوذ عربية ، تنازلت الأنظمة العربية عن دورها التاريخي فيها فاسحة المجال لإسرائيل لتسرح وتمرح كيفما أرادت مقدمة خبراتها العسكرية والأمنية وغيرها ، وقد تكون قد بنت في بعض دولها مثل أثيوبيا واريتريا قواعد عسكرية سرية ، على غرار قواعدها في جمهورية جورجيا في القوقاز ،كي تستخدمها إسرائيل متى شاءت كرأس حربة مسمومة تغرسها في خاصرة الدول العربية خاصة مصر والسودان.

فحينما فشلت إسرائيل في التفاهم مع مصر بخصوص حصولها على مياه نهر النيل ، لجأت إلى الأساليب الملتوية في محاولات التدخل في دول مصب النيل ، لإجبارها على الرضوخ لمطالبها ، فجريدة هاآرتس الإسرائيلية نقلت عن المصري اليوم قولها لقد بدأت حرب المياه وجيراننا الأشرار - إسرائيل - مشغولون بمحاولة تدمير علاقات مصر مع دول المنبع.

وفي هذا السياق وصف دبلوماسيون أفارقة جولة ليبرمان في بعض دول منابع النيل بالغامضة من حيث التوقيت والأهداف ، ويرى خبراء أن توقيت الزيارة يؤكد وجود مساع إسرائيلية لإجهاض المفاوضات التي تجريها مصر مع هذه الدول للحفاظ على حصتها من مياه النيل.

فمصر تعلم وتعي تماماً خطورة التحريض الإسرائيلي المتواصل والمستمر لدول حوض النيل ،والمساعدات المالية السخية والتقنية الحديثة التي تستخدم في إنشاء سدود ومشاريع عملاقة على النيل ، تهدف فى الأساس إلى تقليل كمية المياه التي تصل إلى مصر لتخنقها .

وأيضا تتواصل الضغوط الأمريكية والإسرائيلية على مصر ، من أجل تنازلها وقبولها بعض التعديلات على اتفاقية دول الحوض الموقعة عام ١٩٢٩م بين الحكومة المصرية وحكومات دول المنبع التي تعطي لمصر حق النقض الفيتو ضد إنشاء أي دولة من دول المنبع مشروعات جديدة على نهر النيل أو أي من فروعه .

وتقول بعض المصادر أن الضغوط التي تمارسها أمريكا وإسرائيل تهدف إلى إثارة الرأي العام العالمي ضد مصر ، بالإضافة إلى دول المنبع لإجبارها على تعديل الاتفاقية ، فإسرائيل تتسلح بحجة واهية تتمثل في كمية المياه الكبيرة التي تهدرها مصر في الصحراء ، وهذه الضغوط المبرمجة تهدف في المقام الأول لإجبار مصر على الرضوخ

والموافقة على نقل مياه النيل إلى إسرائيل، وآخر ما تعمل عليه إسرائيل هو مساعدة الدول الأفريقية في استغلال المياه في مجال التنمية .

تقول بعض المصادر إن أمريكا وإسرائيل تحاول وضع مصر أمام خيارين أحلاهما مر ، الأول: أن توافق مصر على تزويد إسرائيل بحاجتها من مياه النيل ، والثاني : إذا رفضت مصر الخيار الأول المتمثل فى إنشاء سدود عملاقة في أثيوبيا وبتقليص المياه المتدفقة إلى السودان ومصر إلى أدنى درجة ، وهنا تكمن الطامة الكبرى حيث يعني ذلك نقص شديد في مياه السد العالي وبحيرة ناصر ، وما يعنيه ذلك من الانعكاس السلبي الكبير على توفير مياه الشرب والزراعة وتوليد الطاقة الكهربائية.

وزير الطاقة المصري صرح بان إسرائيل لن تحصل على قطرة ماء واحدة من مياه النيل ، وفي تعليقه على وجود مخطط أمريكي إسرائيلي لتدويل نهر النيل واستيعاب مياهه في أثيوبيا ، وممارسة الضغط على مصر من أجل تزويد إسرائيل بالمياه ، قال : إن الهدف من ذلك الوقيعة بين مصر ودول المنبع فحسب الاتفاقيات مصر لا تستطيع تزويد إسرائيل بمياه نهر النيل ، وذلك تطبيقاً لتلك الاتفاقيات السابقه مع دول حوض النيل ، التي تنص على عدم جواز إمداد أي دولة خارج حوض النيل بالمياه.